مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725

**دراسة كتاب أشعار جزائرية لابن عمار الجزائري - تحقيق: أبو القاسم سعد الله

الدكتورة:خالدي ربحة
جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

الملخص:

يعتبر كتاب أشعار جزائرية للشاعر الجزائري ابن عمار الجزائري والذي حققه المرحوم أبو القاسم سعد الله، حيث جمع فيه مجموعة من الأشعار لشعراء جزائريين عاشوا في الفترة العثمانية وكانت هذه الأشعار تتسم بالجمال خاصة وأن معظمها كانت في مديح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

Summary:

It is considered a book of Algerian poems by the Algerian poet Ibn Ammar al-Jazaery, which was achieved by the late Abu al-Qasim Saad Allah, in which he collected a group of poems by Algerian poets who lived in the Ottoman period.

الكلمات المفتاحية: ابن عمار- الجزائري- أشعار جزائرية- دراسة

Keywords: Ibn Ammar al-Jazaery - Algerian poetry - study

مقدمة:

إن كتاب أشعار جزائرية للشاعر والعلامة ابن عمار الجزائري الذي حققة المرحوم أبو القاسم سعد الله، الذي جمع فيه مجموعة من الأشعار لشعراء جزائريون نبغوا في فترة تاريخية أطلق عليها بفترة الركود الثقافي ولكننا نعتبر هذه الفترة من أثرى الفترات التي نبغ فيها شعراء جزائريون كابن عمار وأستاذه ابن علي، وابن ميمون وغيرهم ممن جمعهم ابن عمار في هذا الديوان الثري والفريد وقد جاء هذا الكتاب بطبعتين مختلفتين في الشكل متفقتين في المتن وقد اعتمدت في دراسة هذا الديوان بالتعريف به من

حيث الشكل ثم المضمون، فالأهمية التاريخية والأدبية للديوان أنهيت الدراسة بطريقة تحقيقه وقد اعتمدت في الدراسة على ديوان أشعار جزائرية بطبعتيه الأولى والثانية.

1- التعريف بالديوان :

هو عبارة عن مخطوط شعري جمعه الشاعر ابن عمار عنه وعن غيره من الشعراء منهم ابن علي وأحمد المنجلاتي ومحمد سعيد الشباح وغيره من الشعراء الجزائريين، وهو في الحقيقة كتاب بطبعتين الأولى سميت بأشعار جزائرية و الثانية سميت بأشعار مجهولة من الشعر العربي، فقد ضمنا نفس المحتوى بصورتين مختلفتين في الشكل الخارجي للكتاب، وقد حققه وعلق عليه الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله، فبوبه وعرف بأصحابه، كما أشار إلى أعماله الأخرى التي توسع فيها لبعض العلماء الذين وردوا في هذا المخطوط وآخرون ككتابه تاريخ الجزائر الثقافي الذي نعتبره أكبر مصدر وأهمه وقد اعتنى فيه الكاتب بتاريخ الجزائر الثقافي عبر العصور من القديم إلى الحديث، ثم نشر "المخطوط بالمؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1988 " [1].

هذا المخطوط مبتور الأول والآخر، ويقع ضمن مجموع يبدأ بفهرسة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المسماة" غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد "أضاف إليها بعض الأشعار والأخبار المتعلقة به، وهذا المخطوط يبدأ من صفحة 68 وينتهي بصفحة 123، وآخر المكتوب فيه هو البيت عدد 16 من قصيدة ابن علي الطويلة، في قوله :

وَأَفَدَتْنِي بِغَرَائِبَ تُجْلَى الدُّجَى وتَخْلُصُ المحْزُونَ مِنْ أَحْزَانِهِ [2]

هذا، وقد أكمل أبو القاسم سعد الله القصيدة من رحلة ابن عمار المسماة بـ" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، التي حققها محمد بن أبي شنب.

بداية وفي فاتحة الكتاب بدأه المحقق ببيتن شعريين لابن علي والذي يدعو فيه الشعراء عبر العصور أن الشعراء عانوا في عصره من مظالم مختلفة ويدعوهم بان يصونوا الشعر ويعتنوا به فيقول:

فَيَا شُعَرَاءَ العَصْرِ إِنَّ زَمَانَنَا زَمَانَتُهُ لمْ تَتَّحِدْ بمَكَانِ

فَصُونُوا يَوَاقِيتَ القَرِيضِ فَإِنَّهَا بِعَصْرِكُمْ نَوْعٌ مِنَ الهَذَيَانِ[3]

ومن خلال تقسيم وتبويب المدونة، فقد جاءت بثلاث أقسام، سبق هذه الأقسام مدخل بدأه بتقديمه للمخطوط فيما يتعلق بكيفية حصوله على المخطوط ونسخه له، ثم توضيحاته لمنهج التحقيق، فعصر المخطوط، ثم بين أهميته الأدبية و التاريخية، وختم المدخل بترجمة لشعراء المخطوط وهم ابن علي، ابن عمار، وابن ميمون، والقوجلي، وابن راس العين، والشباح، والمنجلاتي .

أما القسم الأول عنونه بـ مساجلات ابن علي وابن عمار، وتبدأ هذه المساجلات من " وتنزهنا يوما " وتنتهي بقول ابن عمار يخبر عن ابن علي : "وأهدى إليه بعض أبناء الرؤساء فروا "، وأهم ما في هذا القسم هو النزهة التي قاما بها الشاعران ابن علي و ابن عمار في بساتين الجزائر سنة 1163، نزهة أنتج من خلالها الشاعران أشعارا ميزها غرض الوصف لهذه البساتين وجمالها، وهذا القسم ضم مجموعة معتبرة من المساجلات بين الشاعرين وهي قصائد شعرية ونصوص نثرية برعا فيها الشاعرين وأشادا ببعضهما كما وظفا مختلف الأغراض الشعرية كالوصف والمدح والرثاء والتشبيب وغيرها، ووصف ابن عمار قصر ابن عبد اللطيف نثرا وشعرا، وهناك شعراء آخرون في هذا القسم منهم ابن ميمون الذي قال قصيدة في معشوقة ابن علي، والذي بدوره يرد عليه بعدة قصائد من نفس الغرض، وأعقب ذلك بقصيدة يصف فيها طبيعة الجزائر فذكر ديارها وهو يتغزل، وإضافة إلى ذلك ذكر تخميسا لنفسه لأبيات لسان الدين بن الخطيب في المعتمد بن عباد، حين زار قبره وهو يقول فيه :

طَابَتْ بِذِكْرَاكِ أَنْفَاسِي وَ أَوْقَاتِي وَ أَنْتَ مِنِّي مَحَلَّ الرُّوحِ فِي الذَّاتِ

يَا غَائِبًا وَهُوَ مَحْفُوفُ بِمَرْءَاتِ قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغْمَاتِ

رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى المُهِمَاتِ [4]

ثم، كانت لابن علي أبيات متفرقة ومختلفة الأغراض، في الغزل، والوصف، والحكمة، وحتى في التأريخ الذي يقول فيه ابن عمار: "وأنشدني لنفسه مؤرخا للمخزن الذي بناه الأمير محمد باشا بين أبواب باب عزون في موضع الصمّارين من محروسة بلدنا الجزائر حرسها الله" [5]:

لَئِنْ كَانَتْ الأَهْرَامُ مِنْ مِصْرِ أَوْدَعَتْ خَزَائِنُهَا دُراً نَفِيسًا وَيَاقُوتًا

فَذَا الهَرَمُ الأَعْلَى أَجَلَّ لِأَنَّهُ جَمِيعُ البَرَايَا مِنْهُ يَلْتَمِسُ القُوتَا

فَدَامَتْ لُبَانِيَةُ السَّعَادَةِ وَانْثَنَتْ كِتَابًا لَهُ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ مَوْقُوتًا

دِمَشْقُكَ تَارِيخٌ لِإِكْمَالِ وَضْعِهِ وَمَنْ سَاءَهُ ذَا الوَضْعُ لَا زَالَ مَمْقُوتًا

وختم القسم الأول بأبيات لابن علي يمدح فيها أحمد الورززي التطواني* في إحدى زياراته إلى الجزائر، ومما لاحظناه في هذا المخطوط أن قصائد ابن علي أكثر من قصائد ابن عمار صاحب جمع هذه النصوص، فقد جمع لغيره دون أن يهتم بأعماله، ونحن نظن أن أعمال ابن عمار تسابق أستاذه وصديقه ابن علي، وهذا ما أكده سعد الله عندما علق على أبيات لابن عمار فقال: " وقد تعمد ابن عمار أن يجيبه بنفس الوزن والقافية، فكأنه بذلك يسابقه ويبارزه ." [6]

وأما القسم الثاني فركز فيه على غراميات ابن علي ونجد في هذا القسم أن ابن عمار يتسلم ديوان صديقه وأستاذه ابن علي فقال : " وناولني ديوانا له بخطه، جاريا على مقتضى الإتقان وشرطه، فكتبت منه ما نصه، ما أخرجته منه من مخرج الغزل، وحام بلبله على روضة الحسن ونزل. " [7] ومن خلال ما ذكر ابن عمار فقد أخذ الديوان فاختار وانتقى منه القصائد الغزلية فقط، في حين ترك باقي الأغراض .

ثم، وبعد قصائد الغزل لابن علي قال ابن عمار: "هذا آخر ما أثبته من غرامياته في هذا الديوان، وجلاه من عرائس غزلياته في هذا الإيوان "[8]. هو يخبرنا أن ذلك هو ما أثبته ابن علي من غزلياته في الديوان الذي أعطاه إياه، وبعد ذلك نجد وصف ابن عمار لهذا الديوان فقال: "قلت، قد أجاد هذا الفاضل في جمع هذا الديوان* العجيب، واتى فيه بكل لفظ رائق ومعنى غريب، غير أنه جمع فيه من كلامه وكلام غيره الغثّ والسمين وأودع صدفه من جواهر الكلم الثمين وغير الثمين."[9] لاحظت من خلال الوصف أن ابن علي أجاد في عملية الجمع والانتقاء حتى أن ابن عمار تعجب من هذا الديوان! فقد أتى فيه بألفاظ تروق للسامع ومعاني جديدة غريبة على غير العادة، فقد جمع فيه كل من كلامه و كلام غيره الجيد منه والرديء وأضاف إليه جواهر الكلم الثمين وغيره .

وفي نقد ابن عمار لطريقته قال: " فكان فيه كحاطب ليل، وجالب رجل وخيل . فطال بذلك وحقه أن يقصر، وهصر من روض الشعر أغصانا لا ينبغي أن تهصر." [10] فقد شبهه بحاطب الليل الذي لا يرى الحطب الجيد من الرديء فيأخذ كل ما يأتي في طريقه وهكذا ابن علي. فقد جمع كل ما وجده من أقوال وأشعار دون أن يتخيّر الجيد منه والغث، ثم يبين من خلال نقده أنه أطال كثيرا في بعض

المواضع التي يجب فيها الاختصار، كما هصر أي ترك من روض الشعر قصائد لا ينبغي لها أن تترك أي هو كذلك فعل كما فعل ابن عمار انتخب على حسب ذوقه ولم يترك هذه الأشعار لغيره.

كما وجدت نقده لابن علي في الرحلة حول شعره فقال عنه: "..أبقى الله وجوده بالألطاف محفوفا، وبالنفحات الأدبية منفوحا متحوفا، رأيته أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماه، فرأيت صورة تقل على حقيقة الأدب ومعناه، يبادرني بسلام يوذن بعرفان سابق، ويشهد بحب لاحق، فشاءت منه لطافة لو تجسدت لكانت ماء ولألأ، وعاينت فيه ظرافة لو تعللت لود النسيم أن يكون لها اعتلالا. " [11]

فهذا البارع في عهده، المبدع الأديب، ونفحات أدبية متحوفة، وهو يقصد بهذا جمال البيان وبالتالي فهو مدح للكلام وحسن القول وهذه هي البلاغة على حد قول أبو هلال العسكري : "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفس كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[12]، فالكلام بائن ومكشوف المعنى والمغزى، أظهر حقيقة ومعنى الأدب، أدب لو تجسد لكان ماءا ولؤلؤا، وهو يظهر لنا من خلال قوله لو تجسد، أن أدبه كان مختلفا لكنه لم يجد اهتمام ولا تذوق من طرف المتلقين والمسؤولين والحكام وهذا نتيجة للأحوال العامة التي كان يعاني منها العلماء الجزائريين في ذلك العهد، فلو تجسد ولقي صدى واهتمام وتذوق لكان ماءا ولؤلؤا، فلا نعلم شاعرا في القرن الثاني عشر على حد قول سعد الله، "قد بلغ مبلغ ابن علي في قوة النفس واتساع العارضة والحبكة الشعرية وطواعية المعاني للألفاظ ومواتاة الصور"[13]. وقوله وعاينت فيه ظرافة لو تعللت لود النسيم أن يكون لها اعتلالا فحتى في نقده نجد استعماله لألفاظ الطبيعة في كلمة النسيم فظرافة شعره تدخل إلى أعماق متلقيه كنسيم الهواء النقي والخالي من الشوائب.

وفي القسم الثالث والأخير الذي كان بعنوان : ما جمعه ابن علي في ديوانه من شعر غيره حيث بدأه بمقدمة ابن علي لديوانه، هذا الأخير افتتحها بحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة﴾، مبينا السبب الذي دعاه إلى جمع هذا الديوان بقوله: "فقد دعاني لجمع هذا الديوان، ما منيت به من أبناء الزمان، من شماتة إن ألمت مصيبة، وسهام من نكايتهم مصيبة، فجنحت إلى صرف تلك البلابل، بما يفوق عن احتساء البلابل، واستماع نغمات البلابل، وهو ما صيغ من ألسن بعض أهل العصر.." [14] فقد جمع من الأقوال التي هزت مشاعره، فبلاء البلاد يولد الكثير من المشاعر والأحاسيس التي تلم بالشعوب المضطهدة بما يصيبها من مصائب، وقد تجد هذه المشاعر صدى للكثير من المحبين لكنها في المقابل تجد من يشمت بها ويصخر، وهذه الأقلام

المتفرقة التي سماها بالبلابل، وأكمل حديثه باقتنائه لهذه الأشعار التي اعتصرها من ينابيع قرائحهم، وأضاف إليها أحيانا من قريحته الجامدة والفكرة الخامدة وهو يقصد العصر في جموده الثقافي والأدبي. ثم أدرج مجموعة معتبرة من القصائد والأبيات الشعرية المختلفة الأغراض والأشكال، والتي سماها أبو لقاسم سعد الله كشكول ابن علي أو كناشه الذي جمع فيه أشعار غيره من الشعراء وسماه ديوانا وبداية هذه القصائد لجده محمد المهدي الذي يشكو فيها أمرا لعلماء اسطنبول قال في بدايتها :

أَرْجُو الغَيَّاثَ بِنَاصِرِي الإِسْلَامُ وَمُؤَيِدِيهِ بِأَلْسُنِ الأَقْلَامُ

فَأَرِثُوا لِحَالِي وَاسْمَعُوا لِقَضِيَّتِي وَظُلَّامَتِي وَتَلَهُفِي وَضَرَامِي[15]

الشاعر هنا لم يفصح عن طبيعة الشكوى، فالغالب أنه يشكو من أمرا أو قضية نزلت به في بلاده إلى أحد علماء القسطنطينية مفتي أو عالما أو شيخا في الإسلام .

ثم، ذكر قصائد أخرى لجده في الشوق وغيرها من نفس الغرض، بعد ذلك كانت أبيات لعدة شعراء وهم سعيد الشباح في الاستغاثة، ومحمد القوجلي في وصف قصة نثرا وشعرا صارت مع جد ابن علي وسعيد قدورة* وبعد، ذلك تخميس لابن راس العين، فقصيدة للقوجلي في شيخه الأنصاري مع تعليق ابن علي عليها، متبوع بعدة قصائد كذلك للقوجلي في شيخه الأنصاري، ثم أبيات له أيضا في رثاء أحمد الزروق بن داوود، وأخرى في مدح المفتي ابن قراوش ويذكر زلزال بالجزائر، كما له أيضا قصائد في الغزل والنقد والوصف وكلها في موضوعات مختلفة كضيافته بتونس، وحديثه عن الربيع و رأيه في الطرب وغيرها .

وعاد لابن راس العين في موشح له في الغزل والمدح . وقصيدة المنجلاتي في مفتي اسطنبول حول نفي قدورة وأحوال الجزائر .نعود لابن علي وهو يشيد باللسان العربي، ويذكر أبياتا لمفتي اسطنبول، وفي الأخير يذكر بداية قصيدة للمنجلاتي في المديح النبوي الذي قال فيها:

يَا حُسْنَ بَدْرٍ لَهُ كَلَامُ يُجِلُّهُ الرُوحُ وَالكَلِيمُ

عَلَى هَوَاهُ اِنْطَوَتْ عِظَامُ وَجَاهُهُ فِي الوَرَى عِظَامُ [16]

هذا، وقد أوضح أبو القاسم سعد الله، أن بهذين البيتين انتهى المخطوط، فالظاهر أن قصيدة المنجلاتي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم غير منتهية فرقم صفحة المخطوط هو 112، وبعدها

صفحة بيضاء، فقصيدة ابن عمار الرائية، وقد حاول سعد الله إيجاد بداية سليمة للمخطوط لأنه كما ورد في تعريف الديوان مبتور الأول والآخر، وقد بقيت نهايته مبتورة لأنه يبدو أن ابن عمار، أو الناسخ قد توقف في ديوان ابن علي عند بيتي المنجلاتي في المقام النبوي، وفيما يظهر في وصف ابن عمار لديوان ابن علي فإنه أورد وجمع شعر غيره من القرن 17/11 ولم يستوفهم، كما انه لم يتحدث بعد إلى شعراء عصره وهو القرن 18/12، والجدير بنا أن نواصل البحث عن بقية الديوان والذي بيّن سعد الله انه يتكامل مع كتاب "لواء النصر في فضلاء العصر "لابن عمار الذي ما يزال مفقودا ليومنا هذا.[17] وهذا لأن عنوانه يتوافق مع محتوى المخطوط الذي يحتوي على جملة من شعراء عصره، من شعر ونثر.

3 – 2 عصر الديوان :

إن الأزمنة التي قيلت فيها قصائد هذا المخطوط تناولت إنتاج القرن 17/11 والقرن 18/12، ذلك أن كشكول ابن علي اشتمل على قصائد لشعراء عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري، ومنهم جداه الأعلى والأدنى ووالده ومحمد القوجلي وأحمد المنجلاتي ومحمد ابن رأس العين ومحمد الشباح، إضافة إلى ذلك جاء في المخطوط على ذكر شاعران، أولهما التونسي محمد بن عثمان ضاي، والمغربي الشريف السوسي، وقطعة لمفتي اسطنبول أسعد أفندي، كما اشتمل على شعراء عاشوا في القرن الثاني عشر منهم: ابن علي وأحمد ابن عمار ومحمد بن ميمون، كذلك ما أشار إليه ابن عمار في الرحلة لأحمد المنجلاتي الذي أشاد به واعتبره من الشعراء المجلين في هذا العصر ولقبه بمثلث طريقتي ابن الفارض والبوصيري فشعره في المخطوط قليل وربما يكون في الجزء المبتور. وبداية الديوان كانت بشعراء العصر الحادي عشر وتابع ذلك إلى أن وصل إلى شعراء عصره، وقد كان يشير إليهم باسم " أهل العصر "، والملاحظ أن ابن علي لم يستوف كل شعراء القرن الحادي عشر ولا الثاني عشر ذلك لان المخطوط مبتور الأول والآخر كما أشار إلى ذلك سعد الله .[18]

وقد عرض ابن علي نماذج منوعة غير مرتبة من الأشعار، لشعراء القرنيين المذكورين، فذكر بذلك مناسبة لكل قطعة أو قصيدة تتصل بها مضيفا إلى ذلك بعض المعلومات والإشارات للتوضيح، وأحيانا للتنبيه، دون أن يهتم بالترجمة لأصحاب النصوص وهو يختلف بطريقته هذه عن ابن عمار الذي اختار أن يجمع في عمله " لواء النصر في فضلاء العصر" بين الترجمة والنص معا، وهذا ما ظهر في رحلته المسماة "رحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " فقد ترجم لابن علي ثم أورد له بعض من

شعره، وقد سار على نفس الطريقة مع الشيخ أحمد المنجلاتي ونحن نعلم على حد قول أبو القاسم سعد الله انه توسع أكثر في كتابه فضلاء العصر ما قصر في الرحلة .[19]

وقد شهد القرن الحادي عشر (17م) ازدهارا اقتصادي في الجزائر، حتى إن مدينة الجزائر أصبحت تدعى باسطنبول الصغرى . ففي ولاية الحاج علي آغا الذي أعطى تعاليم صارمة في كيفية التنظيمات في ولايته، "فأثرى بذلك التجار وعاش الناس في رخاء، وحاز الناس على غنى وافر في الذهب والفضة، وأقاموا الدّور وأحسنوا تزيينها، وزرعوا البساتين ورفعوا وسطها القصور الفاخرة."[20] فقصدها علماء مسلمين من المشرق والمغرب طالبين الرزق والعيش السليم، من هؤلاء العلماء على بن عبد الواحد الأنصاري وابن زاكور من المغرب وهذا الأخير "الذي عُدت رحلته من أهم المصادر التي غطّت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية بالجزائر، وخاصة في أخباره عن عدد من علماء الجزائر في ذلك العهد كمحمد المنجلاتي، محمد بن حمودة الجزائري"[21]، وغيرهم كما تحدث عبد الكريم الفكون عن زيارة المولى علي له في كتابه منشور الهداية فقال: "واجتمع* بالقاضي الشهير المولى علي، وكان أتى من باب السلطنة الأحمدية، من الموالي، وله معرفة ونجابة وقوة عارضة، مشاركا في كل العلوم وعنده كتب جمة."[22] وهو يبين أن المولى علي من أشهر العلماء في عصره، كما بين علمه ومعرفته ومشاركته في كل العلوم المختلفة كما بين مجموعة من أعماله من كتب ومصنفات.

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله، أن كتاب منشور الهداية لعبد الكريم الفكون، وكتاب كعبة الطائفين لمحمد بن سليمان، ألفا في القرن الحادي عشر (17م)، كما تحدث عن الحياة السياسية في هذا القرن أنها كانت غير مستقرة بسبب الثورات الداخلية التي من أشهرها ثورة الذواودة في الشرق وثورة الأمحال في الغرب، إضافة إلى توتر العلاقات بين الجزائر واسطنبول أو باشوات الجزائر والسلاطين، أما في القرن التالي فقد شهدت تطورا عكسيا، حيث استقرت الأوضاع السياسية فيما ضعفت الحياة الاقتصادية وزادت في تدهورها تدريجيا، إضافة إلى فرض الدولة للضرائب الداخلية، مما أدى لقلق دائم للسكان، وتحكم اليهود على التجارة الداخلية والخارجية، ويضاف إلى ذلك توتر العلاقات بين اسطنبول والدول الأوروبية الأخرى، كالحروب مع اسبانيا والحملات الفرنسية المتوالية على الدول العربية كمصر والجزائر وغيرها، فيقول أبو القاسم سعد الله :" في ذلك الجو قال ابن علي وابن عمار وابن ميمون شعرهم، وكان شعرا في اغلبه يعبر عن متانة ثقافة هؤلاء الشعراء و تمكنهم من البيان العربي والذوق الفني والثقافة الإسلامية العربية ." [23] فرغم الاضطرابات السياسية التي تنعكس على

الحياة الاجتماعية للسكان مما أدى إلى عدم الاستقرار الذاتي خاصة عند الشعراء، لكنهم ورغم هذه الأوضاع المتدنية برع هؤلاء الشعراء في قول الشعر كما نوعوا في أغراضه لتمكنهم من البيان والذوق العربي الفني.

3-3 الأهمية الأدبية والتاريخية للديوان :

لقد ضم الديوان مجموعة معتبرة من القصائد والمقطوعات الشعرية، وحتى النصوص النثرية، أظهرت وعبرت عن متانة الثقافة التي تميز هؤلاء الشعراء، فتمكنوا من الثقافة العربية الإسلامية التي تمتد جذورها عبر إنتاج شعراء الأندلس وبغداد ودمشق و الحجاز ومصر، إضافة إلى بروز آثار المدرسة الأندلسية من موشحات، ووصف للرياض والطبيعة على العموم، والتشبيب، ورقة الألفاظ و المعاني وبعد الأخيلة، فقد تكونوا من مدرسة الطبيعة وفي جامعة الفطرة يقول سعد الله : " فلم يكن ورائهم صالونات بغداد أيام عزها، ولا عطايا خلفاء دمشق أيام مجدها، ولا خمارات الأندلس أيام انحلالها، فلا نعلم أنهم درسوا في مؤسسات علمية لها شهرة كالأزهر أو الزيتونة أو القرويين وإنما هي الفطرة و النبوغ والعبقرية." ولهذا هؤلاء لشعراء منهم ابن علي وابن عمار وابن الشاهد وغيرهم نعتبرهم مفخرة للتراث الجزائري العربي.

لقد أُرخ لهذا الديوان في فترة من فترات التاريخ الجزائري الذي ما يزال إلى يومنا هذا غامضا لنقص المصادر والأعمال التي تدرس هذا العهد، وقد عرفت الفترة العثمانية تدهورا في الحياة الثقافية لأسباب سبق وأن أشرت إليها، وهذا المخطوط ضمَّ خاصةً أعمال فترة القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري ، وقد أعطى صورة حقيقية للأوضاع الأدبية التي تحلى بها علماءنا وشعرائنا في فترة نحاول أن نسميها أنها امتازت بالجمود الفكري. كما يُظهر المخطوط المكانة العلمية التي ميزت علماء تلك الحقبة الزمنية وكيف كانت نشأتهم وما هي أوضاعهم والمواضيع المختلفة التي عالجوها في أعمالهم الأدبية، وتكمن هذه الأهمية التاريخية أنه يحتوي على قصيدتين تتناولان العلاقات بين الجزائر واسطنبول وهما قصيدة محمد القوجلي التي تقدم بها إلى مفتي الدولة العثمانية، فقد جاء القوجلي على رأس وفد جزائري من العلماء و الأعيان و الوجهاء لمقابلة السلطان في مسائل تهم المصلحة المشتركة، وخاصة عند تأزم الوضع الداخلي في الجزائر بين يوسف باشا وخصومه، وكانت هذه البعثة سنة 1065هـ، ثم أن هذه البعثة طالبت السلطان بإعطاء موافقته على تعيين يوسف باشا حاكما على الجزائر، وهذا الأخير الذي عرف أنه كان محبوبا من طرف العلماء و بار الدولة، ومنهم الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري،

وعيسى الثعالبي، ويحي الشاوي، وعبد الكريم الفكون، ومحمد البوني وغيرهم . وهذه القصيدة التي مطلعها:

سَعِدْتَ فَدَمْ فِي العِزِّ واسْتَكْمَلَ العُلْيَا وَدَمُ فِي اِقْتِنَاءِ المَعْلُوَاتِ مَدَى المَحْيَا

وَوَاصِلُ ذَوِي الحَاجَاتِ عِنْدَ اِضْطِرَارِهِمْ مَوَاصِلَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ هَدْيَا[24]

هذه القصيدة تسلط الضوء على الظروف العامة التي يعاني منها السكان الجزائريين، كما تلقي ضوءا هاما على دور العلماء في العلاقات السياسية و بالأخص دورهم الشعري .

أما القصيدة الثانية هي قصيدة أحمد المانجلاتي التي كتبها للتعريف بالمفتي سعيد قدورة لدى مفتي اسطنبول، فقد حدث اضطراب بين سعيد قدورة وحكام الجزائر لأسباب غير معروفة، ومنها نفي إلى اسطنبول، وخوفا من عقابه سارع أصدقائه للدفاع علية منهم المنجلاتي الذي بعث برسالة إلى مفتي اسطنبول بمكانة سعيد قدورة وبمقامه الرفيع وأن ما جرى له مجرد تلفيق من حاسديه، ونعلم أنه عاد إلى الجزائر وبقي مفتيا إلى أن وافته المنية سنة 1066 وأنه ورّث وظيفته لابنه محمد، ويقول أحمد المنجلاتي في مطلع القصيدة :

سربَ القطا سِرْ بالسلام واسعدِ وَانْهَضْ إلىَ قَمرِ السَّعَادَةِ أَسْعَدَ

مُفْتِي البَسِيطَةَ شَمْسَهَا وَهِلَالِهَا وَأَمَامَهَا وَهِمَامَهَا وَالمُهْتَدِي[25]

4-3 منهجية تحقيق المخطوط :

تعتبر عملية التحقيق من أصعب الأعمال التي يقوم بها الناقد، الباحث بحيث يتطلب عليه الإلمام والشمولية في عدة عناصر وهي تبدأ بالاطلاع على أمهات الكتب ذات الصلة بموضوع التحقيق، وقد اطلع أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لهذا الديوان على مجموعة من المصادر الأدبية ككتب الأدب والتاريخ والتراجم والرحلات والمجاميع والكنانيش ومختلف الوثائق والمخطوطات، بالإضافة إلى المقالات في المجلات الكثيرة التي يتناول أصحابها ظواهر متنوعة ذات صلة بفترة الشعراء الواردين في الديوان، ومن هذه المصادر نذكر عبد الرحمن الجامعي في كتابه شرح الحلفاوية، ورحلة مساقة ضمن المخطوط، وكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" لابن الشيخ الحفناوي، الأنطاكي في كتابه "تزيين الأسواق"، وكتاب "تاريخ تطوان" لمحمد داود المجلد الثالث القسم الأول، وكتاب "الأعلام" للزركلي، ومحمد بن

محمد الوزير في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، أبو القاسم سعد الله في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة"، وكتابه "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون"، وكتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، كما استفاد من تقييدات ابن المفتي، و كتابي "منشور الهداية"، و"محدد السنان" وهو مخطوط لعبد الكريم الفكون، وكتاب "محمد عثمان باشا" لتوفيق المدني، وكتاب"نفح الطيب" للمقري، وكتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية "لابن ميمون، وكتاب "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر" لعبد القادر نور الدين ومن الرحلات رحلة "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" لابن عمار التي "طبع منها نبذة في الجزائر سنة1904(1323ه)، وقد ذكر أنه استفاد منها في عملية التحقيق لما احتوت عليه من الأشعار الموجودة في المخطوط كان يعود إليها لتدارك النقص أو لمقارنة بعض النصوص" [26]. ورحلة "ماء الموائد" للعياشي، ورحلة ابن حمادوش المسماة بـ" لسان المقال " .[27]

وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى أن هذه المجموعة ليست كل ما استعان به في عملية التحقيق فهناك الكثير ، ولا يمكن أن ندرجها كلها لأنه من الصعب وضع قوائم بكل تلك المراجع في هذا العمل واكتفى بذكر بعضها لتكوين دليلا نفعيا لمن يريد التوسع في أعمال قادمة .

وفيما يخص معرفته لحياة الشعراء فقد اشتغل كثيرا في التنقيب والبحث، وقام بترجمة مفصلة لبعضهم ممن وجد لهم مثل ابن علي وابن عمار الذي قام بترجمتهما في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، كما قام ببحث لابن حمادوش في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد الثاني في العدد الخمسين والذي قدم فيه رحلته، كما قام بدراسة مفصلة وخاصة في كتاب سماه شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، واكتفى ببعض الإشارات لغيرهم ممن لم يتمكن في الحصول على المعلومات لهم، هذه الأعمال وغيرها أشار إليها في هذا المخطوط، كما قام بالمقارنة بين أشعار المخطوط التي وجدها في رحلة ابن عمار مشيرا ومنبها إليها مبينا الاختلاف كما حاول تصحيح ما أمكن تصحيحه، كما اهتم كثيرا برحلاتهم التي وجد فيها الكثير من المعلومات الأدبية والتاريخية والثقافية وحتى السياسية التي تعلقت بهم، من هذه الرحلات نذكر رحلة ابن عمار، ورحلة ابن حمادوش، ورحلة الورثلاني، وقد أفرد عملا كاملا خصصه لهذا الموضوع وهو كتابه "تجارب في الأدب و الرحلة".

كما اعتمد التهميش لكل زيادة أو نقصان بالمقارنة مع نصوص أخرى لها علاقة بالديوان، ثم أنه وضح مناسبة لكل نص شعري أو نثري ورد في الديوان.وتهميشه اعتمد فيه على تهميش كل صفحة على حدى والترقيم خاص بكل فصل.

أما النقطة المهمة في هذا العمل أن أبو القاسم سعد الله حاول إيجاد بداية للمخطوط فقد أوضح انه مبتور الأول والآخر، فقد بدأه بنص من الرحلة ، وهو قول بن عمار في الرحلة : "وتنزهنا يوما..." [28]كما قسم المخطوط إلى أقسام ووضع كل نص في قسمه الذي وجد فيه تناسبا مع الموضوع الأصلي.كما أتى ببعض النصوص من بينها النص الذي وجده من خلال الشيخ المهدي البوعبدلي وهو وصف ابن عمار لقصر ابن عبد اللطيف وهذه القصيدة غير موجودة في رحلته.ثم انه أشار إلى انه غيّر في ترتيب الأقسام التي كانت كالتالي :

القسم الأول : غراميات ابن علي.

القسم الثاني : ما جمعه ابن علي في ديوانه من شعر غيره.

القسم الثالث : مساجلات ابن علي وابن عمار.

وبهذا فإن هذا الديوان الذي يضم مجموعة من القصائد لشعراء جزائريين عاشوا في العهد العثماني، هذه القصائد التي عالج من خلالها هؤلاء الشعراء مختلف الأغراض الشعرية كالمدح والوصف والرثاء والغزل وغيرها من الأغراض، كما ضم بعض الموشحات لهؤلاء الشعراء والتي أفردت للمديح النبوي، يعد من أهم الآثار الأدبية التي أثْرت الثقافة الأدبية العربية، وأضيف بذلك إلى الموروث الثقافي الأدبي الجزائري.

---

[1] - حبار، مختار، 2007، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر – دراسة بيبلوغرافيا -، وهران، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر- دار الأديب، ص 162 .

(1 - الجزائري، ابن عمار ، 1988، تح: أبو القاسم سعد الله، ، أشعار مجهولة من الشعر العربي، الجزائر، #"س! 2الو*() ا'&$، ,+، ص 08 . وكتب البيت في التقديم هكذا :

وأفدته بغرائب تجلي الأسى ** وتخلص المحزون من أحزانه

[3] - ديوان أشعار جزائرية، ص02.

[4] - ديوان أشعار جزائرية ، ص 78 .

[5] - المصدر نفسه ، ص 82 .

* - أحمد الورززي التطواني : هو سيدي أبي العباس أحمد الورززي من علماء المغرب البارزين خلال العهد العثماني، كان يتردد على مدينة الجزائر يلقي الدروس بها وقد حضر درسا له الشاعران ابن عمار وابن حمادوش بالجامع الكبير سنة 1159، توفي بتطوان بتاريخ 1189 .

[6]- ديوان أشعار جزائرية، ص 41 .

[7]- ابن عمار ، الرحلة، ص 73 .

[8]- ديوان أشعار جزائرية، ص 99 .

*- الديوان الأولى تعني مجموع الشعر الغزلي لابن علي ، أما الثانية تعني كشكول ابن علي الذي جمع فيه أشعاره وأشعار غيره بمختلف الأغراض وهو مخطوط الدراسة .

[9]- ديوان أشعار جزائرية، ص 100 .

[10] - المصدر السابق، ص100.

[11] - ابن عمار، الرحلة، ص81 .

[12] – العسكري ، أبو هلال ، الصناعتين ، ص 08.to pdf /www.al- mostafa.com -

[13] - ديوان أشعار جزائرية، ص 17 .

[14] - المصدر نفسه، ص 103 .

[15]- المصدر السابق، ص 104 .

* - سعيد قدورة : هو مفتى المذهب المالكي بالجزائر في ذلك العهد توفي سنة 1066 هـ

[16]- ديوان أشعار جزائرية ،ص 137.

[17]- ينظر: المصدر نفسه ، ص 137 .

[18] - ينظر: ديوان أشعار جزائرية ، ص 14.

[19] - ينظر: المصدر نفسه، ص 15.

[20] - ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ص66.

[21] - ابن زاكور،2011، نشر أزاهي البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان،لجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ص29.

* - يقصد أنه اجتمع مع علي الهلولي صاحب المؤلف في بيته.

[22] - الفكون ،عبد الكريم ،1408 هـ- 1987م ، منشور الهداية- في كشف من ادعى العلم والولاية-، تح: أبو القاسم سعد الله، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط1، ، ص225.

[23] - ديوان أشعار جزائرية، ص16.

[24] - ديوان أشعار جزائرية،ص126.

[25] - ديوان أشعار جزائرية،ص134.

[26] - ديوان أشعار جزائرية، ص09.

[27] - المصدر نفسه، ص ص 139-140.

[28] - ديوان أشعار جزائرية، ص11.